

أضواء البيان

@ 402 يقولوا يا نبي ا ا أو يا رسول ا ونحو ذلك . .

وقوله : { اَن تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ } أي لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم ، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أي لا تعلمون بذلك . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من لزوم توقير النبي صلى ا عليه وسلم ، وتعظيمه واحترامه جاء مبيناً في مواضع آخر كقوله تعالى : { لَسِتُّوْا بِرَاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُعَزِّرُوْهُ وَتُوَقِّرُوْهُ } على القول بأن الضمير في تعزروه وتوقروه للنبي صلى ا عليه وسلم . وقوله تعالى { لَّا تَجْعَلُوْا دُعَاۤءَ الرَّسُوْلِ بَيْنَ يَدَيْكُمْ كَدُعَاۤءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ } كما تقدم وقوله تعالى { فَالَّذِينَ اٰمَنُوْا بِهِ وَاعَزَّرُوْهُ وَنَصَرُوْهُ } . وقوله هنا : { وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ } أي لا تنادوه باسمه : كيا محمد . .

وقد دلت آيات من كتاب ا على أن ا تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه ، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير ، كقوله : { يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ } . { يَا اَيُّهَا الرَّسُوْلُ } . { يَا اَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } . { يَا اَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله { وَقُلْنَا يَا اٰدَمُ } . وقوله : { وَنَادَا يٰنٰهٗ اَنْ يَّا اِبْرٰهِيْمُ } وقوله : { وَقَالَ يٰزُوْجُ اِنِّىْٓ اِنۡتَ لَيَسَّ مِنْ اَهْلِكَ } . قيل { يٰزُوْجُ اِهْبِطْ بِسَلٰمٍ مِّنۡنَا } . وقوله : { وَقَالَ يٰمُوسٰى اِنۡزِيْٓ اَصۡطَفٰىتُكَ اَعۡلٰى النَّاسِ } وقوله : { اِنۡذِرۡ النَّاسَ يٰعِيسٰى اِنۡزِيۡنَا مُتَوَفِّيۡكَ } وقوله : { يٰاِدَاوُدُ اِنۡزِيۡنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيۡفَةً } . .

أما النبي صلى ا عليه وسلم فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب ، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله : { وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدۡ خَلٰتۡ مِنْ قَبۡلِهٖ الرَّسُوْلُ } . وقوله : { وَءَاۡمَنُوْا بِمَا نَزَّلَ اَعۡلٰى مُحَمَّدٍ } . وقوله : { مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ } . .

وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه صلى ا عليه وسلم بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى ، أي أخلصها لها وأن لهم بذلك عند ا المغفرة والأجر العظيم ، وذلك في قوله تعالى : { اِنَّ الَّذِيْنَ يَغۡضُوۡنَ اَصۡوَاتَهُمۡ عِنۡدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ اُوۡلٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوۡا وَلٰكِنۡ لِّلۡتَقۡوٰى لَهُمۡ مَّغۡفِرَةٌ وَّاَجْرٌ عَظِيْمٌ } .

